جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

سيمياء الجسد
في شعر فرسان الجاهلية

الدكتور
أشرف أمين جاد أبو زيد
مدرس الأدب والنقد ـ كلية الآداب بقنا
جامعة جنوب الوادي جمهورية مصر العربية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
الجزء الثامن

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

سيمياء الجسد في شعر فرسان الجاهلية

أشرف أمين جاد أبو زيد

قسم الأدب والنقد ـ كلية الآداب بقنا ـ جامعة جنوب الوادي ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: drashrafamein@yahoo.com

الملخص

يدرس البحث سيمياء اللغة غير المنطوقة التي موئلها أعضاء الجسد، من خلال الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي، وتصاعد الاهتمام البحثي بهذه اللغة غير اللفظية في العقود الأربعة الأخيرة، فانضم لدراستها باحثون من حقول متعددة مثل: علم النفس، والأنثروبولوجيا، واللسانيات. ويعتمد البحث على المنهج السيميائي، حيث اعتمدت فيه على الجسد باعتباره أحد أهم العلامات المشكلة للنص الشعري.

ويُعدّ جسد الفارس منظومة رئيسة تحمل دلالات مُتعدّدة، تُمثّل مظهره الخارجي تُعبّر عن مكبوتات داخلية نابعة من عمق حالته النفسية، التي تنتج صراعات داخلية تظهر على شكل حركات أو علامات جسدية أدائية مقصودة أو غير مقصودة، وهي علامات غير لفظية وذات خصائص مُعيّنة تمتلك لغة خاصة من خلال الحركات والإيماءات.

الكلمات المفتاحية: سيمياء – الجسد– شعر– الفرسان– العصر الجاهلي.

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Body Semiology in the Poetry of Pre-Islamic Knights

Ashraf Amein Gad Abu Zaid
Department of Literature and Criticism - Faculty of Arts, Qena - South Valley University - Arab Republic of Egypt
Email: drashrafamein@yahoo.com

Abstract

This research tackles and scrutinizes the unarticulated language semiology which is based on using body organs for knight poets in the Pre Islamic Era. The academic and research interest of this nonverbal language has culminated during the last four decades. As a result, many scholars and researchers from several disciplines and different specializations have joined to the study of language semiology including: psychology anthropology and linguistics. This research is based on using the semiology methodology as this research relied on using the body as one of the constructing features of poetic texts.

Body of a knight poet is regarded as a main system that has several meanings. This nonverbal system includes his external appearance expresses his internal feelings based on deepness of his psychological status which results in internal struggles which are in turn manifested in gestures or performing (intended of non-intended) body signs. Such signs are nonverbal sings with particular features that has a particular language consisting of gestures and signs.

Keywords: Semiology – body – poetry – knights – Pre-Islamic Era

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إذا كانت اللغة المنطوقة ترجمان العقل ومرآة أفكاره، ووسيلة التواصل العليا الخاصة بالإنسان، يرسل بها رسائله، ويبث الآخرين أفكاره فإن تواصله مع أقرانه ليس مقصورًا على هذه اللغة فحسب، فله من مسلك التواصل غير اللفظي ما يعبر به عما يشاء من فكر ومشاعر، ويأتي هذا البحث ليدرس سيمياء اللغة غير المنطوقة التي موئلها أعضاء الجسد، من خلال الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي.

واختيار مجموعة من الشعراء ليكونوا مثالاً وهم: (عنترة بن شدّاد، عامر بن الطفيل، عروة بن الورد، قيس بن الخطيم)، لم يكن اختيارًا اعتباطيًا، بل حرصت على أن يكونوا من فئات مختلفة، وكانوا من الفرسان المبرّزين ضمن فئاتهم فعنترة من أشهر أغربة العرب، وعامر سيّد قومه، وعروة بن الورد أبو الصعاليك، سوى قيس بن الخطيم الذي لم يكن يميّزه سوى فروسيته إذ كان من طبقة العامّة وهو السبب الذي دفعني لاختياره، حيث قصدت من ذلك الاختلاف الطبقي التوصّل إلى معرفة مدى اختلاف وتشابه الدلالات بينهم، وأودُّ الإشارة إلى أنّ هذا البحث اختصّ بالبحث في نصوص شعرية جاهلية خالصة، إذ حرصت على اختيار شعراء جاهليين لم يعتنقوا الإسلام؛ لأن ذلك سيدخلنا في مجال آخر نظرًا لاختلاف الحقبة الزمنية وتأثر الشعراء بالدين الجديد أفكارًا ومعانٍ ومن ثمّ في الدلالات، فضلاً عن ذلك أنّ ما يعنينا هو دراسة الجانب الفنّي في أشعارهم، وتحليلها دون الولوج إلى الجانب الديني.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويعدّ هذا البحث من البحوث المعتمدة على المنهج السيميائي، حيث اعتمدت فيه على الجسد باعتباره أحد أهم العلامات المشكلة للنص الشعري، وبواسطته يستطيع القارئ أن يستجلي النص الشعري ويحيط به من جوانبه المختلفة.

وتكونت محاور البحث كالتالي:

أولًا: المفاهيم والأبعاد المعرفية

ثانيًا: الدلالة غير اللفظية في الفكر اللساني

ثالثًا: لغة الجسد في التراث العربي

رابعًا: تكميل الدلالة وتحقيقها

خامسًا: دلالات الجسد في شعر الفرسان

أولا: المفاهيم والأبعاد المعرفية:

السيمياء لغةً واصطلاحاً:

لغة: جاء في لسان العرب أن معنى السيمياء هو العلامة " السومة، والسمة، السيماء، والسيمياء : العلامة"(١)، والأصل في هذه الكلمات هو وسمي حيث حولت الواو إلى موضع العين من موضع الفاء، فصارت سومى، ثم قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها سيمي، ومنها استعملت سيما وسيماء وسيمياء)(٢).

وهي مشتقة من" الفعل سام الذي هو مقلوب وسم، وأصلها وسمى، أصلها عقلي، وهي في صورة فعلى، يدل على ذلك قولهم: سمة، فإن أصلها وسمة، ويقولون سيمى بالقصر، وسيماء بالمد، وسيمياء بزيادة الياء وبالمد، ويقولون سوم إذا جعل سمة، وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصل إلى تخفيف هذه الأوزان....، وقيل الخيل المسومة هي التي عليها السيمة والسومة، وهي العلامة" (٣).

عدّ بعض الباحثين في علوم اللغة أن لفظة (السيمياء) عبارة عن جذر لغوي مشترك بين معظم اللغات السامية، حيث إن أصوات هذا الجذر متقاربة إلى حد كبير في اللغات السامية وكذلك مكوناته الدلالية(٤).

---

(١) ابن منظور: لسان العرب مادة (س و م).

(٢) المرجع السابق مادة (س و م).

(٣) بلقاسم دفة: علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي، محاضرات المتلقي الوطني الأول، جامعة محمد خضير – بسكرة، ٢٠٠٠، ص٣٣.

(٤) المرجع السابق، ص٣٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولقد ذكرت السيمياء في مواضع متعددة من القرآن الكريم كما في قوله عزّ وجلّ : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ (١). وقوله تعالي: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (٢). ومن ثم غدت حركة الجسد أكثر تأثيرًا في نفسية المتلقي من اللغة المباشرة.

اصطلاحًا: اصطلح نقاد هذا العصر على تسمية المنهج الخاص بدراسة العلامات ودلالتها بالمنهج السيميائي، غير أنهم اختلفوا في معناه الدقيق فمنهم من أرجعه إلى أصوله اللغوية، فقالوا إن أصلها عربي محض، ومنهم من اختاره من طريق الترجمة، وهؤلاء انقسموا إلى قسمين أحدهما يطلق عليه لفظة السيموطيقا والآخر يطلق عليه لفظة السيمولوجيا، وقد عزي هذا إلى اختلاف ثقافات المترجمين ولغاتهم، لكن المدقق في هاتين اللفظتين يجد أن بينهما فروقًا في أصلهما قبل الترجمة، غير أن النقاد العرب في دراساتهم لا يفرقون بينهما(٣). وهناك من النقاد من حاول أن يعرب هذه الترجمة بإطلاق بعض المسميات كنحو قولهم: علم العلامات، أو علم الأدلة، أو الرموزية، أو الدلائية (٤).

أما عن تعريف السيميائية فيذهب بير جيرد إلى أنها "علم يدرس أنساق الإشارات، وهذا التعريف يجعل اللغة جزءًا من العلامة"(٥) ويعرفها

---

(١) سورة الفتح، الآية٢٩

(٢) سورة البقرة، الآية٢٧٣

(٣) عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، لبنان، ٢٠١٠، ص١٨.

(٤) سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، الدار البيضاء، ط١، منشورات الزمن مطبعة النجاح الجديدة، ٢٠٠٣، ص٣١.

(٥) بلقاسم دفة: علم السمياء والعنوان في النص الأدبي، ص٣٤

بنكراد بأنها: دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية دراسة شاملة غير مكتفية بمجرد تسمية المناطق أو التعبير عن مكنونات المتن(١).

ومن خلال التعريفين السابقين يمكن القول بأنَّ السيمياء علم يعني بدراسة العلامات بأنواعها وأشكالها المختلفة في النص الأدبي بغية الغوص في مكنوناته والتعمق في دراساته بالاستعانة بمناهج النقد الأخرى لالتقائها مع هذا المنهج في دوائر متعددة.

الجسد لغةً واصطلاحاً:

لغة: ترد اشتقاقات مادة(جسد) في الاستعمال اللغوي بمعان مختلفة وفقًا لطبيعة الاستعمال أو التوظيف اللغوي له بمقتضى الحال و السياق، فقيل: "جسم الإنسان و لا يقال لغيره من الأجسام المتغذية، ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض، ... قال ابن سيده: وقد يقال للملائكة والجن جسد، وكل خلق لا يأكل ولا يشرب من نحو الملائكة والجن مما يعقل فهو جسد(٢)، كما نجد للجسد معانيَ لا تنحصر فقط في جسم الإنسان وإن كانت أكثر خصوصية به، فالجسد قد يعني الهيئة و اللون ولهذا قيل: "الجاسد من كل شيء ما اشتد ويبس، والجَسَدُ والجَسِدُ والجَاسِدُ والجَسيدُ الدم اليابس وقد جَسِدَ، ومنه قيل للثوب: مجسَّدٌ إذا صبغ بالزعفران(٣).

(١) سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص٣١
(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة(ج س د).
(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة(ب د ن).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي القرآن الكريم ورد لفظ(جسد) في مواضع منها قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (٢)".

وفيما ورد في لسان العرب من مادة(ج.س.م) أن "الجسم جماعة البدن، أو الأعضاء من الناس، والإبل، والدواب وغيرهم من الأنواع العظيمة الخلق...، ورجل جسماني، وجثماني إذا كان ضخم الجثة، وقد جسم الشيء. أي عظم فهو جسيم"(٣).

إذن فمعاني الجسم تدور لغويًّا حول العظمة، والضخامة، والامتلاء، وبذل الجهد المستمد من الهيئة الجسمية.

و الباحث في مادة(ب.د.ن) يجد "بدن: بدن الإنسان، جسده والبدن من الجسد سوى الرأس، وقيل قيل هو العضو واللحم والجمع أبدان...، ورجل بَادِنٌ: سمين جسيم، والأنثى بادن وبادنة والجمع بُدْنٌ وبُدَّنٌ(٤).

إذن فمعاني البدن في المعجم حول الامتلاء والضخامة، وابن منظور ينبه إلى أن البدن هو الجسد مستبعدا الرأس والأطراف لأنها لا توصف بالسمن، وبهذا يكون البدن جزءًا محددًا من جسم الإنسان(٥).

---

(١) طه، الآية٨٨

(٢) الأنبياء، الآية ٨

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة(ج س م).

(٤) المصدر السابق، مادة(ب د ن).

(٥) بن سهلة يمينة: جمالية الجسد في الفكر الفلسفي "تمثلاته وتجلياته في الثقافة الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة وهران٢، ٢٠١٥، ص١٩-٢٢.

ويتضح مما أُتِي به عن مفهوم الجسد وتفريعاته الجسم، البدن، أن هناك مقومات دلالية مشتركة بين(جسد، جسم، بدن) في الاستعمال اللغوي. وأن تحديد لفظ الجسد هو الاختيار المناسب لهذا البحث؛ لأنه المصطلح الأصح لما نحن بصدد تأمله وتحليل تمثلاته وتجلياته الجمالية.

اصطلاحًا : يشكل الجسد الجزء الظاهر، والمرئي من كيان الإنسان، فهو إذن يدل على "كل ما يشير إلى الكيان الإنساني الذي يحتل حيزًا في الوجود وفي المكان، فكل الأشياء التي تحتل حيزًا في المكان وتتوفر على ثلاثة أبعاد وهي: الطول والعرض والعمق، هي أجسام، والجسد واحد منها، إلا أنه يختلف عنها بكونه صفة تختص بالإنسان وتُمنع عن غيره من العناصر الأخرى في الصنف"(١).

فمن ميزات الجسد احتلاله حيزًا في الوجود، ومساحةً في المكان ما يعني أنه كيان له حجم ومادة، والمميز في الجسد البشري "هو في الواقع أنه تجسد شخص ما، إنه المكان الذي تلد فيه وتظهر رغباتنا وأحاسيسنا وانفعالاتنا وهو الوسيلة الوحيدة التي نستطيع عبرها إظهار أي نوع من الكائنات الخلقية نحن، ونستطيع أن نقيم علاقة مع جسمنا علاقة خضوع وتماثل كامل لكننا لا نستطيع العمل على التخلص من مادية جسمنا بامتلاكنا له(٢)، وكل إنسان في الأصل مسكون بجسده ولا يمكن فهمه مفصلا عن هذه الجسدانية.

---

(١) العلوي هشام: الجسد بين الشرق والغرب، نماذج وتصورات، مطبعة النجاح، المغرب، ٢٠٠٤، ص٥٤.

(٢) ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد، ترجمة نبيل أبو مصعب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١، ص٦٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والحقيقة أنه يصعب ضبط مثل هذا المصطلح كونه بناء ثقافي وفكري خاضع لتحولات. ووفق هذا الطرح سأعالج في ورقتي البحثية نماذج متعددة لحركة الجسد، لأستجلي بعض الأبعاد التواصلية لحركة الجسد في حياة الإنسان من خلال الإبداع الأدبي بصفة عامة، والشعراء موضع الدراسة بصفة خاصة.

ثانيا: الدلالة غير اللفظية في الفكر اللساني:

تصاعد الاهتمام البحثي بهذه اللغة غير اللفظية في العقود الأربعة الأخيرة، فانضم لدراستها باحثون من حقول متعددة مثل: علم النفس، والأنثروبولوجيا، واللسانيات، وأَولَى هؤلاء عناية خاصة بجوانب من السلوك البشري المتعلق بقدرات الإنسان على التواصل. وقد درج الباحثون في ما مضى على النظر في التواصل الإنساني باعتباره قائما على اللغة اللفظية، ولعل من المجدي النظر في هذه اللغة غير اللفظية ؛ لأنها تؤثر تأثيرًا مباشرًا في تحقيق التواصل والتفاهم يكاد يوازي في أهميته تأثير اللغة اللفظية. وتتأتى أهميتها من أن تأثيرها ينبع من قدرتها على إبراز المشاعر وتحديد المواقف في سياق الكلام؛ أي إنها إما تدعم التواصل اللغوي وإما أن تناقضه، ومن هنا فهي جديرة بالتنبه والتطوير[١].

وهذا ما يؤكد أهمية التواصل غير اللفظي، وفي هذا السياق يؤكد (هول) Hall في كتابه: اللغة الصامتة، عشرة أنواع مستقلة من النشاط الإنساني أطلق عليها "النظم الأولية للرسالة"، وتمثل اللغة واحدةً منها[٢]. في حين ناقش (روش و كيز)Ruesch and Kees سبعة نظم مختلفة لتحقيق التواصل، هي: المظهر الشخصي، واللباس، والحركات الجسدية المقصودة، والنشاط العشوائي، وأثار النشاط، والأصوات المنطوقة، والكلمات المقولة، والكلمات المكتوبة[٣].

(1) Wainwright, Gordon R., Body Language, (U. K.: Teach Yourself Books, 2007), p. 185

(2) E. T. Hall, The Silent Language, (Garden City, N. Y.: Doubleday, 1959), p.27.

(3) J. Ruesch and W. Kees, Nonverbal Communication: Notes on the Visual Perception of Human Relations, (Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1956) p.69.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وعلى الرغم من هذا الفصل بين نمط التواصل اللفظي، وغير اللفظي، فإنهما ينبغي أن يقدما بوصفهما وحدةً واحدةً متكاملةً غير مستقلٍ أحدهما عن الآخر. وقد نظر(بيردستيل) Birdwhistell في التواصل اللفظي ونظيره القائم على حركات الجسد، بوصفهما بنية تحتية أساسية لنظم التواصل، ومتعالقين معا، فضلا عن تعالقهما مع نظم أخرى مشابهة من طرائق التواصل الحسية، يمكن بلوغ نظام تواصلي متكامل[١]، ويؤكد(آرجايل) Argayle هذه الرؤية التكاملية بقوله[٢]:"من النتائج المهمة في حقل التواصل الاجتماعي الطرق التي يدعمّ فيها التواصل غير اللفظي نظيره اللفظي[٣]. وقد بدأ التنبه إلى ضرورة النظر في التواصل اللفظي ونظيره غير اللفظي بوصفهما متعالقين متكاملين في وحدة واحدة يأخذ منحىً جديًّا منذ عقود، ويبدو أنّ هذا المنحى آخذٌ في التّصاعد، وفي هذا الإطار تأتي دراسات(هاريسون) Harrison تحليل التفاعل اللفظي[٤]، ومتابعات (بوهلر وريتشموند) Buehler and Richmond الذين وضعوا الأطر العامة

(1) R. L. Birdwhistell, Some Body Motion Elements Accompanying Spoken American English, in Communication: Concepts and Perspectives, ed. L.Thayer (Washington, D. C.: Spartan Books, 1971) , p. 71.

(2) M. Argayle; Social Interaction, (New York: Atherton Press, 1969), pp.70- 71

(3) Cf. P. Ekman: Communication through Nonverbal Behavior: A Source of Information about an Interpersonal Relationship, in Affect, Cognition and Personality, ed. S. S. Tomkins and C. E. Izard, (New York: Springer, 1965), p.51.

(4) R. Harrison: Verbal- Nonverbal Interaction Analysis: The Substructure of an Interview, (Paper presented to The Association for Education in Journalism, Bekerely, California, August 1969), p. 11.

لتحليل التواصل اللفظي وغير اللفظي[١]. هذا في حين يسعى(ريس وويتمان) Reece and Whitman إلى عزل نمطي التواصل(اللفظي وغير اللفظي) بعضهما عن بعض[٢]، ويسعى (إكسلاين) Exline للتركيز على سلوك العين خاصة، ولربطه بأنواع التواصل اللفظي المتعددة[٣].

ويعتقد (بيردستيل) أن نظام حركة الجسد مشابه ومقترن باللغة المنطوقة، ورأى أن حركات الجسد يمكن النظر فيها بما يوازي النظام اللغوي. بل ذهب أبعد من ذلك حين أكد أنّ لغويًّا خبيرًا في الحركات الجسدية يمكنه تحديد حركات متكلم وملامح وجهه بالاستماع إلى حديثه[٤]. ومن الجدير بالذكر أن الدلالات غير اللفظية دخلت صلب الدرس اللساني منذ طرح سوسيور ثنائيته الشهيرة (اللغة والكلام)، وهي بهذا أدخل في باب الكلام منها في اللغة.

وهو ما أكده الباحثون بتعريفهم للسيميولوجيا بأنها ولدت بدءًا من تفريق سوسيور بين اللغة والكلام، جاعلين موضوعها دراسة العلامات في كنف المجتمع[٥]، وقد تابعته في هذا (جوليا كريستيفا) التي جعلت حقل السيميولوجيا محسورًا في دارسة الأنظمة الشفوية وغير الشفوية من حيث

---

(1) R. E. Buehler and J. F. Richmond: Interpersonal Communication Behavior Analysis: A Research Method, Journal of Communication 13 (1963),pp. 146.

(2) M. Reece and R. Whitman: Expressive Movements, Warmth, and Verbal Reinforcement, Journal of Abnormal and Social Psychology 64 (1962),p. 234.

(3) R. V. Exline, and other: Visual Interaction in Relation to Machiavellianism and an Unethical Act, American Psychologist 16 (1961), p. 396

(4) Ibid: p. 12.

(٥) دي سوسير، فرديناند: محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د. ت.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كنهها وطبيعتها[١]. وقد نظر الدرس اللساني الحديث في الدلالات غير اللفظية ضمن علم العلامات (السيميولوجيا) التي تعرف بأنها العلم العام الذي يدرس كلَّ أنساق العلامات التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس، سواء كانت هذه العلامات لسانية أو غير لسانية، وهو ما استقر عليه تعريف السيميولوجيا بأنها العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيا كان مصدرها: لغويًّا، أم مؤشريًّا[٢].

(١) محمد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد٢٤ ،عدد٣ ،١٩٩٦، ص١٩١.

(٢) حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ط١،١٩٨٧، ص٥٢.

ثالثا: لغة الجسد في التراث العربي:

إن الوجود الإنساني رهن بتعبير الإنسان عن وجوده إما بجسده الصامت، مثل ملامح وجه وتلون سحنته وظهور أمارات الحزن والفرح والغضب والحب والكراهية، أو بحركات جسده وإيماءاته وإشاراته، وإما بنطقه وكلامه. وفي كل هذه الأحوال يعبر الإنسان بجسده عن وجوده الاجتماعي؛ أي أن كل جسد هو منطوقه في غاية النهاية(١).

والجسد ليس كتلة صماء جامدة، إنه كيان متحرك يمتلك خطابه الخاص الإيمائي الذي ينم على علامات وإشارات كثيرة يحتاج فهمها إلى تفكيك وتحليل ومقارنة وقراءة عميقة بغية إنتاج الدلالات المقصودة، وهي علامات وإيماءات وملامح لها منطقها الخاص. والجسد هو المنبع الذي تصدر عنه الأفعال. هكذا يمكن النظر إليه بوصفه حركة كلية للذات في الوجود تمتلك طاقة هائلة للتعبير بكل حركة أو سكنة، أو ملمح(٢). فإن الإنسان يمتلك وسائل أخرى غير لفظية، أو غير لغوية، تؤدي وظيفة التواصل بصورة عامة، ولعلها أسبق من وسائط التعبير اللفظية أو اللغوية.

وتنقسم هذه الوسائل غير اللفظية إلى أنظمة دلالية عضوية تتخذ من " جسم الإنسان علامات؛ لأن الإنسان يستخدم أعضاء جسمه بل جسمه كله

---

(١) فريد الزاهي: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، أفريقيا الشرق، بيروت،١٩٩٩، ص٢٨.

(٢) جنات زراد،: خطاب الجسد ونظام التواصل الإشاري في المرويات الشفاهية، مقاربة تداولية، مجلة الأثر، الجزائر، ص٢٨٦. بحث على موقع جامعة قاصدي مرباح ورقلة:
univ- ouargla. dz/ Pagesweb/ PressUniversitaire/ doc/ .../ TSP0220. pdf

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في التواصل مع الآخرين؛ إنه يتكلم بجسمه كما يتكلم بلسانه. وتحمل حركاته وإشاراته دلالات يمكن أن تكون مفهومة مثل كلمات اللغة(١).

ورأى بعض الباحثين أن الرسالة التي يودُّ الإنسان تبليغها لغيره ينقسم تأثيرها، وتتوزع فحواها في ثلاثة أقسام أساسية هي: ما يخرج من المجرى الصائت ونسبته 7% وما يطرأ على هذا المجرى من تنغيم ونبر وتلونات وتداخلات صوتية ونسبته ،18% وتبقى النسبة الكبرى البالغة 55% لما يخرج من المجرى الصامت للرسالة. ويرى بعضهم في شأن توزيع هذه الأقسام الثلاثة رأيا قريبا؛ فنسبة الكلام في المحادثة المباشرة تستغرق 35% من الرسالة، أما النسبة الكبرى فتتعين بالأداءات المصاحبة للكلام أي بالحركات والإيماءات الإشارات، وتبلغ نسبتها من الرسالة٦٥%.(٢).

وتقع دلالات لغة الجسد في التراث العربي في إطار الدلالة غير اللفظية؛ فوجوه الدلالة على ما ذكر الكُفوي في تلخيصه لموضوع الدلالة قائمة في صنفين: دلالة لفظية، وغير لفظية(٣). ولعلّ أول من تكلم على ذلك

(١) محمد محمد داود: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية: دراسة دلالية ومعجم، القاهرة، دار غريب ط١، ٢٠٠٧، ص٧. وكريم زكي حسام الدين،: الإشارات الجسمية: دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط١، ١٩٩١، ص٢٦.

(٢) مهدي أسعد عرار: لغة الجسم وأثرها في الإبانة: نماذج من التراث اللغوي والبلاغي، كلية الآداب، جامعة برزيت، فلسطين، مجلد٣٣، ع١، ٢٠٠٦، ص١٠٨، و إبراهيم جوخان: خطاب الجسم في شعر العذريين، جميل بثينة نموذجا، مجلة سرَّ من رأى، مجلد٨، ع٣٠، السنة الثامنة، ٢٠١٣، ص١٨٣ .

(٣) الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٣٦٧.

الجاحظ، الذي يوضح المقصود بالبيان: والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السَّامِع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل؛ لأن مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع(١).

ونجد شيئًا من ذلك في تعليق ابن هشام الأنصاري على بيتي عمر بن أبي ربيعة:

أشَارَتْ بِطَرْفِ العَينِ خِيفةَ أَهلِها إشارةَ مَذعُورٍ ولمْ تَتَكَلَّمِ

فَأَيقَنتُ أنَّ الطّرْفَ قَد قال: مَرحبًا وأهلًا وسهلًا بالحَبيب المُتيَّمِ(٢).

بقوله "فإنما نفى الكلام اللفظي لا مطلق الكلام، ولو أراد بقوله (لم تتكلم) نفي غير الكلام اللفظي لانتقض بقوله (فأيقنت أن الطرف قد قال مرحبا؛ لأنه أثبت للطرف قولا بعد أن نفى الكلام"(٣). ومن ذلك ما نجده لدى عبد القاهر الجرجاني في ثنايا حديثه عن الحال الناطقة الدالة بأحوال النفس وإيماءات الجسد بأعضائه المتنوعة على المراد(٤).

---

(١) الجاحظ،: البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، د.ت، ٧٦/١.

(٢) عمر بن أبي ربيعة: شرح الديوان، وتقديم عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت،.ص٣٢٦.

(٣) ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٠، ص٢٧. عريب محمد عيد: علم لغة الحركة بين النظريةّ والتطبيق، دار الثقافة، عمان، ٢٠١٠، ص٧٥.

(٤) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١م، ص٤٨-٤٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وظن بعض الباحثين أن لغة الجسد لغة تواصل حديثة، وأصاب حين عرفها بقوله إنها " تعتمد على تعابير الجسد، مشيرا إلى أن علم لغة الجسد علم يدرس طرق التواصل غير اللفظي، وموضوع البحث في هذا العلم كامن في لغة التخاطب غير اللفظي، في محاولة للإحاطة بردود فعل الجسم عند التواصل مع الآخرين عن طريق الحركات والإيماءات والملامح، باعتبار الحركات الجسد علامات مرئية لما نخفيه من محفزات ومشاعر(١). وما من شك في أن أصل اللغة أصل شفاهي، وأن لغة الجسد اتصلت بهذا الأصل، ورافقته، وتطورت معه عبر العصور.

ويمثل ابن جنّى ظاهرة فريدة في هذا المجال فهو من اللغويين الذين نظروا للغة الجسد وأهميتها في جلاء المعنى المراد، فضلا عن أنه كان مشهورا بتوظيف لغة الجسد في حلقاته العلمية ودروسه. ولعله جمع بين صنفي الدلالة غير المقطعية: لغة الجسد، والتنغيم(٢). بل كان ابن جني معجبًا ببيان فضل لغة الجسد في الأشعار والمأثور من كلمات البلغاء، ففي معرض تعليقه على بيت نعيم بن الحارث السعدي:

تقولُ وصَكَّتْ وجهَها بيَمِينِها أبَعْلِيَ هذا بالرَّحَى المُتَقاعِس؟

قال(٣) :"فلو قال عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس، من غير أن يذكر صكّ الوجه لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكرة. لكنه لما حكى الحال

(١) ياسر حماية: لغة الجسد، كيف تفهم الآخرين من نظرة عين؟ كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢، ص٥.

(٢) مهدي أسعد عرار: لغة الجسم وأثرها في الإبانة، مجلةّ دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص١١١-١١٤.

(٣) ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، درا المكتبة العلمية، القاهرة، د.ت، ٢٤٥/١.

فقال: وصكت وجهها بيمينها، علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها؛ هذا مع أنك سامع لحكاية الحال غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف لعِظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: ليس المخبرُ كالمعاين.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

رابعا: تكميل الدلالة وتحقيقها:

لا يقتصر تواصل الإنسان مع من يقاسمونه حياته على تحريك اللسان وقرع الشفتين؛ ذلك أن التواصل يشترك في تحقيقه وسائل غير لفظية كثيرة، كالتعابير الوجهيَّة بما يضمه الوجه من عينين، وحاجبين وغير ذلك، والتعابير اليدوية والوضعية أو ما سماه الجاحظ (النُّصْبة) [(١)]، فقال في ذلك: "والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقصر عن تلك الدلالات...، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصّها وعامها، وعن طبقاتها في السّار والضّار وعمَّا يكون منها لغوًا بهرجًا، وساقطا مُطَّرَحًا"[(٢)]، فالدلالة على المعاني لا تخرج عن خمسة أشياء لا تزيد ولا تنقص أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمَّى نصبة[(٣)].

وبهذا نرى أن للتواصل مسلكين اثنين: الأول: مسلك لفظي منطوق، والثاني: مسلك غير لفظي، تشترك فيه الجوارح الأخرى، كالعين، والحاجبين، واليدين، وغيرها، وهي ما أصبح يعرف بـ (لغة الجسد) ولعل لغة الجسد تعبير جديد الوجود مصطلحًا، ولكنه مسلك تواصلي مغرق في القدم، إذ أنها لغة تعود إلى بدء نشأة الكون ووجود الإنسان فيه، فهي أسبق من الكلمات المنطوقة في التواصل، "فإيماءات الجسد وتعابيره تنقل بصمة

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٦/١
(٢) المصدر السابق،٧٦/٢.
(٣) المصدر السابق، ٧٦/٢.

مشاعرك وعواطفك"[١] فكم يكون للأفعال الإشارية الصامتة من أثر أقوى بكثير من فعل الكلمات![٢].

وقد أشار الجاحظ إلى العلاقة الرابطة بين الإيماءةِ والبيان، إذ "الإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه. وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط.... وفي الإشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير، ومعونة حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس من بعض، ويخفونها من الجليس وغير الجليس. ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص، ولجهلوا هذا الباب البتة[٣]".

فالإشارة باليد والرأس "من تمام حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدّلِّ والشكل"[٤]. فلغة الجسد "هي أعلى إفصاحًا من لغة الكلام في التعبير عن المشاعر والأمزجة"[٥]. والرسائل غير الكلامية "رسائل جانبية بالنسبة إلى الرسائل الشفهية أو المكتوبة"[٦]؛ إذ أن الفرق بين لغة الكلام ولغة الجسد هو أن لغة الكلام تحمل الأفكار والمعطيات والمعلومات، في حين أن لغة الجسد تحمل على عاتقها عبء نقل المشاعر، فعن طريق

---

(١) جيمس بورغ: لغة الجسد، ترجمة د. أميمة الدكاك، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٥م، ص١٨

(٢) وليد محمد السراقبي: سيمياء الجسد في القرآن الكريم(دراسة تحليلية)، دواة مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث التربوية واللغوية، كلية الآداب، جامعة حماة، د.ت، ص١٤٩.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ٧٨/١

(٤) المصدر السابق، ص٧٩

(٥) جيمس بورغ،: لغة الجسد، ص١٧

(٦) هنري لوفيغر: اللسان والمجتمع، ترجمة مصطفى صالح، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٣م، ص١٥٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الرسائل غير اللفظية تنقل المشاعر أكثر مما ينقل عن طريق الكلمات المنطوقة؛ لذا عدَّت لغة الجسد الأكثر ثقة على حمل المشاعر والعواطف(١)، وكان ثمة "كلام في بكمهم ولغة في إيماءاتهم"(٢).

جاء في المزهر: "إذا سئل العربي أو الشيخ عن معنى لفظ فأجاب بالفعل لا بالقول يكفي، قال في الجمهرة: ذكر الأصمعي عن عيسى بن عمر، قال: سألت ذا الرُّمّة عن (النّضناض) فلم يزدني على أن حرك لسانه في فِيه"(٣)، فللغة الجسد أثرها في إيجاد انطباع إيجابي أو سلبي عند من نتواصل معهم، ولها أثرها في تقريبهم وانجذابهم إلينا أو تنائيهم وانفضاضهم عنا.

فقد تؤدي حركات معينة لشخص ما إلى ابتعاد الناس عنه، وعدم الالتفاف حوله والاقتناع بما دعونهم إليه، ولغة الجسد الجيدة التي يمتلكها المرء إلى جانب قدرته على قراءة لغة أجساد الآخرين سبيلان مهمان من سبل التواصل مع الآخرين، وبذلك يعضد حديثه مع غيره من جهة، ويقرنه بالشعور المناسب لذلك من جهة ثانية.

وإذا لم يكن المرء ممتلكًا لذلك كله فمعنى ذلك أنه ليس قادرًا على تفسير المؤشرات المرسلة من الآخرين؛ ذلك أن الرسالة تتضمن الكلام المنطوق، ولغة الجسد المرئية، وجوانب الكلام غير اللفظية، ويراد بالأخيرة

---

(١) جيمس ورغ،: لغة الجسد، ص١٦-٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٦-٢٠.

(٣) السيوطي: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٤/١.

ما يسمى بـــ "الإصغاء بين السطور، والمراد به الضـــبط علـــى الجوانـــب الصوتية للغة الجسد... فكل من النغمة، وارتفاع الصوت والتنغيم، ومعـــدل الكلام، وكل دلائل جوانب الكلام هذه التي تكشف أبعد من الكلمات نفسها"(١).

وقد بيّنت الدراسات النفسية والحركية أن 55%من المعنى يرشح عن لغة الجسد، و38%تحققه عناصر الكلام غير اللفظي كتردد الصوت، ونغمته، وسرعته، و7% ينتج من فعلية المحتوى(٢).

(١) جيمس بورغ،: لغة الجسد، ص١٠٢

(٢) المرجع السابق، ص٣١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خامسا: دلالات جسد الشعراء الفرسان:

حدد الباحث نماذج من الشعراء الفرسان تطبيقا للبحث، وهم: عروة بن الورد ليكون أنموذجًا يمثّل فرسان طائفته-الصعاليك-، فكان صعلوكًا فارسًا عدّهُ الدارسون قديمًا وحديثًا من الشعراء الصعاليك، ومن القدماء الذين أشاروا إلى فروسيته ابن دريد، فقال عنه: "كان شاعرًا فارسًا كثير الغارة جوادًا"(١). وقال عنه أبو الفرج الأصفهاني: "شاعر من شعراء الجاهلية، وفارس من فرسانها وصعلوك من صعاليكها المقدّمين الأجواد"(٢). وفي حديث د. نوري حمودي القيسي عن فروسية الصعاليك، إذ يقول: "ويُعدُّ عروة بن الورد خير من يُمثّل هذه الظاهرة بين الشعراء الصعاليك"(٣). ولحسن أخلاقه وسماحته قال عنه عبد الملك بن مروان: "من زعم أن حاتمًا أسمح الناس فقد ظلم عروة"(٤) ينتمي عروة إلى قبيلة عبس وهي قبيلة ذات مكانة اجتماعية، ولكنه كان يعاني من ضعة النسب من جهة الأم فقد كانت من قبيلة نهد وهي قبيلة لا تمتلك أي مكانة اجتماعية تُذكر، ولذا كان يراوده شعورٌ بالنقص من هذا الجانب، وقد صرّح به في أكثر من موضع، فضاقت عليه الأرض بما رحبت؛ ليصبح صعلوكًا مُشرّدًا يجوب القفار ويواجه الصعاب والأخطار.

---

(١) ابن دريد: الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، د ـ ت، ص٢٧٩.

(٢) الأصفهاني:الأغاني، ٨١/٣.

(٣) د. نوري حمَودي القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ص٤١.

(٤) عروة بن الورد: الديوان، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨ه، ١٩٩٨م، ص١٢.

والنموذج الثاني هو عنترة بن شدّاد، وكانت معاناته لا تقلّ عن معاناة سابقه، بل تُضاف إليها مشكلة السواد الذي اكتسبه من والدته الحبشية، فشكّلت له عُقدة نفسية عميقة ؛ لأنها سبب معاناته الرئيس في الحياة و نبذه واستعباده من قبل أبيه و قبيلته، ليصبح عبدًا من عبيدها لا سيّدًا من ساداتها، وكثيرًا ما كان يُعيّر بسواده و سواد والدته. جعل عنترة البديل لذلك السواد شجاعته التي اشتمل عليها بحدّ السيف القاطع وبالطعن بالرماح العوالي فأصبح أشجع الفرسان وأشدّهم، فكانت الفروسية هي الوسيلة التي يسعى بها الى انتزاع حرّيته و نسبه، و مع ذلك لم يشأ أبناء قبيلته تجاهل لعنة السواد التي أُبتُلي بها، فظلّت تسمية (ابن السوداء) تطرق مسامعه حتى عندما يرجع مُنتصرًا من المعركة، فلازمه الإحساس بالمرارة حتى اصطبغت به شخصيته وأفكاره وأشعاره التي لم تفارقها نبرة الحزن والألم[١].فأصبحت من سمات شعره البارزة حتى عانى ما عانى من ذلّ وتحقير من قبل أبناء القبيلة لكن ذلك لم يؤثر فيه إلاّ إيجابًا فأصبح من أشجع فرسان العرب وألصقهم بمكارم الأخلاق وأشعرهم، وسعى دائمًا إلى إثبات كيانه وتعويض ذلك النقص الذي سعى الآخرون إلى زرعه في داخله.

أما النموذج الثالث فهو سيّد قومه عامر بن الطفيل العامري ويُعدّ من سادات أقوى قبيلة في الجزيرة العربية وهي قبيلة بني عامر من هوازن، وكانت كثيرة الحروب والعداء مع القبائل الأخرى منها غطفان، ومذحج، وتميم، وشيبان، وعبد القيس، وقبائل مُتعدّدة

(١) عبده بدوي: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٧٣م، ص٢٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أخرى[١]. لذلك نجد معظم شعره في الحرب والإغارة والفخر والاعتداد بنفسه وبفرسان قبيلته والحط من قدر القبائل الأخرى، ولا نجد له نسيبًا وغزلًا، بل كان شعره حربيًا خالصًا، ومع ذلك لا يمكننا الجزم بعدم إجادته في أغراض شعرية أخرى، أو أنّه لم ينَلْ اهتمام النقاد قديمًا وحديثًا لكنّه كان مبرّزًا.

وقيس بن الخطيم هو المثال الرابع و يُمثّل الشعراء الفرسان من طبقة العامة، فلم يكن عبدًا ولا سيّدًا ولا صعلوكًا، ولم يكن يعاني من مشكلة طبقية أو مشكلة نسب، اسمه أبو يزيد قيس بن الخطيم، وهو من الآوس من بني ظفر[٢]. وكان على العكس من عنترة من ناحية الشكل، فقد كان حسن الوجه حتى قال عنه أبو الفرج الأصفهاني: "ما رأته حليلة رجل قط إلاّ ذهب عقلها"[٣] ومن أبرز ما وصلنا من أخباره أنّه أخذ بثأر أبيه الذي قُتل عندما كان صغيرًا وكان قاتل أبيه من الخزرج من بني حارثة[٤].

يُعدّ جسد الفارس منظومة رئيسة تحمل دلالات مُتعدّدة، تُمثّل مظهره الخارجي تُعبّر عن مكبوتات داخلية نابعة من عمق حالته النفسية، التي تنتج صراعات داخلية تظهر على شكل حركات أو علامات جسدية أدائية مقصودة

(١) عامر بن الطفيل: الديوان، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار صادر، بيروت، ص٢٨، وص٤٩.
(٢) قيس بن الخطيم: الديوان، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ص١١.
(٣) الأغاني ، ١٠١٢.
(٤) الأغاني ، ٥١٢.

أو غير مقصودة، وهي علامات غير لفظية وذات خصائص مُعيّنة تمتلك لغة خاصة من خلال الحركات والإيماءات.

يحتوي الشعر على حركات وإيماءات يشترك في خلقها الفكر والجسد معًا، فتتولّد لذلك الأحاسيس والمشاعر والدلالات اللامُتناهية، فالجسد" مُحور مكبوتات اللاوعي فلا يتحرك إلا خفية ولا يستعلن إلا رمزًا، حتى أن إدراك الجسم الإنساني والسلوك المرتبط به كليهما يمكن النظر إليه في ضوء البناء الاجتماعي السائد في مجتمع مُعيّن(١).

قد يكون التخاطب بالجسد أكثر حرّيةً واتساعًا في التعبير من التخاطب اللغوي، إذ يتخذ أساليب مختلفة ومتعددة "بأسارير الوجه، بحركات الأيدي، بارتعاش الأطراف، بتقلّص العضلات وانبساطها...، فطرائق التعبير بالحركات لا حصر لها"(٢). ويكون التعبير الجسدي وسيلة مناسبة لدى المبدع، خاصة إذا قصد إيصال ما يجول في دواخله النفسية أكثر من التعبير اللفظي، فيشعر "بأن المفهوم والمنطوق من اللفظ لا يستطيع إفراغ الشحنة النفسية الانفعالية، فيستعين بالإشارة"(٣). ولم يكن الاهتمام بلغة الجسد وليد الدراسات الحديثة، بل اهتم القدماء بهذا الجانب التعبيري ومنهم الجاحظ، في قوله:" فأمّا الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب ..."(٤)

---

(١) محمد فكري الجزّار: العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامّة للكتاب،١٩٩٨، ص٧٧.

(٢) جلال الخيّاط: الجنون بالشعر، بيروت ــ لبنان، ط١، ٢٠٠٦م، ص ١٧٣ .

(٣) صلاح كاظم: السيمياء العربية، بحث في أنظمة الإشارات عند العرب، ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٨م :١٨٥ .

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين : ٨٣/١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وإن كانت إشارته ليست بالمستوى العميق الذي تناولته الدراسات الحديثة، إلا أنّه لا يمكن إنكار تلك الالتفاتة وإن كانت بسيطة، فهو كغيره من العلوم التي ابتدأت مجرّد إشارات بسيطة على ألسنة القدماء العرب، لتصبح فيما بعد علومًا مستقلّة لها أُصولها وقواعدها الخاصة على أيدي علماء الغرب. فقد دُرِسَ وصُنِّف ضمن ما يُعرف بـ" علم حركات الجسد"(١)، ويُعدّ عالم الأنثروبولوجيا "بيردستيل" رائد تلك الدراسة التي تندرج ضمن الأنظمة غير اللغوية(٢).

ولعلّنا نجد في جسد الفارس ميدانًا مُناسبًا لتطبيق تلك الدراسات، بما يحمله من شفرات اجتماعية وعلامات خاصة تخلقها ظروفه الاجتماعية، وانتماؤه الطبقي والفروسي وما تتركه عليه من آثار نفسية وجسدية وسلوكية؛ فتؤدي وظيفة اتصالية غير لفظية؛ لأن "الإيماءات وتعبيرات الوجه ونحوها وسائل بصرية عظيمة الشأن في قناة الاتصال غير اللفظي(٣).

لقد أُطلق على دراسة لغة الجسد تسميات مُتعدّدة: "الاتصال الجسدي، واللغة الجسدية، والكلام الجسدي، والحركة الجسمية، والبانتومايم أو التمثيل بالإشارات، واللغة الصامتة، ونحوها"(٤)، وحركات الجسد لا تأتي

(١) آلان وباربرا بييز: المرجع الأكيد في لغة الجسد، المملكة العربية السعودية ، ط٥، ٢٠٠٥م، ص١١ .
(٢) المرجع السابق، ص٩
(٣) د. محمد العبد: العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، القاهرة، ط١ ،١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧ م، ص ٩٩ .
(٤) محمد العبد: العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، ص١٠٠.

اعتباطية، بل كلّ حركة أو إيماءة تصدر لابدّ من أن تكون عن عاطفة وإحساس خاص يشعر به الإنسان لحظة صدور ذلك السلوك منه.

فلغة الجسد هي" انعكاس ظاهري لحالة الشخص العاطفية، ويمكن أن تكون كُلّ إيماءة أو حركة أساسًا قيّمًا لأحد المشاعر التي قد يكون الشخص يشعر بها في هذه اللحظة"(١)، فالشاعر يحاول برسالته الجسدية تلك إيصال رسالة ذات مغزى خاص بذاته، فهي ناتجة عن العقل والعاطفة، فتظهر على شكل ردود أفعال جسدية أو حركية؛ لذلك أصبح من الصعب الفصل بين تلك العلامات وفكر المبدع، وإحساسه؛ لكونهما الأساس في صدور تلك التعبيرات الجسدية"(٢)، ثمّ يقوم المتلقي باستلام تلك العلامات وتفسيرها لتوليد دلالات مناسبة؛ لذا يحاول الشاعر أداء رسالته عبر شيفرة مُعيّنة بوساطة قناة الجسد(٣).

فالجسد يحمل علامات ذهنية مُتعدّدة يُمكن إدراكها بوساطة الحركات والإيماءات، التي تصدر منه قصدية كانت أو غير قصدية، فإنها تنتج معنى يصدر إلى المُتلقي، "وهذا ما يترك الفضاء مُنفتحًا وواسعًا أمام المُبدع، ليصبّ ملامح عالمه الفني عبر تفاعل الذوات؛ لتأكيد سطوة الجسد في الحضور الملموس وقدرته على تمثيل المعنى والإيحاء بالمغزى"(٤).

---

(١) آلان وباربرا بيز: المرجع الأكيد في لُغة الجسد، ص ١١ .

(٢) يوسف تيبس: تطوّر مفهوم الجسد من التأمّل الفلسفي إلى التطور العلمي، مجلة عالم الفكر، مج ٣٧ ،٤ إبريل، يونيو ٢٠٠٩م، ص ٤٧- ٤٨ .

(٣) فائز الشرع: بلاغة الروح أداء الجسد، قراءة في مجموعة (تحولاّت الروح)، مجلة الطليعة الأدبية، تصدر من دار الشؤون الثقافية العامّة ،ع٤، سنة ٤ ،٢٠٠٢م، ص٥٠- ٥١ .

(٤) عوَاد علي: شفرات الجسد جدلية الحضور والغيَاب في المسرح، عمَان، الأردن، ط١٩٩٦،١م، ص٨٩ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ويمكنني إيجاز العلامات الجسدية التي رصدتها في دواوين الشعراء الفرسان بالموضوعات التالية :

١ــ علامات جسدية حركية : وتشمل كل ما يصدر من الفارس من حركات، تؤدي دلالات سواء أكانت مقصودة أو غير مقصودة وتشتمل على ما يأتي:

قوّة الذراعين:

وتُعدُّ علامة من علامات الجسد الفروسي وقد حملت دلالات مُتعدّدة، منها القوّة الجسدية، والكرم والعطاء، والخفة والسرعة في الحركة، وتبرز دلالة قوّة الذراعين لدى الفرسان في عرض الساعدين، وبروز عروقهما، وخفّتهما في الضرب السريع ودفع الأذى، ومن تلك الصفات التي أوردها عنترة في قوله(١):

عَجَبَتْ عُبَيْلَةُ مِنْ فَتَى مُتَبذِّلٍ عاري الأشاجِعِ شاحبٍ كالمِنْصَلِ

ويقول في موضع آخر(٢):

وسيفي صارمٌ قبضتْ عليه أشاجعُ لا ترى فيها انتشارا

تعد الحركة عنصرا مهما من عناصر الصورة، وتكمن عبقرية الشّعر في إبراز الفاعلية والنشاط الحركي الذي ينساب على سلسلة من لحظات متعاقبة(٣). والصورة الحركية تخلف آثارًا مشعة في التعبير الصوري،

(١) عنترة بن شداد: الديوان، تحقيق: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م، ص٢٥٣.

(٢) عنترة: الديوان، ص٢٣٤.

(٣) زكي نجيب محمود: فلسفة وفن، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، د.ت، ص٣٨٢.

لأنّها تقوم على الحياة النامية العضوية بأبعادها الغائرة وعلاقاتها العديدة المتشابكة، والصورة الحركية من أكثر أنماط الصور التي استخدمها عامر بن الطفيل، فلا تكاد تخلو قصيدة أو مقطوعة من صورة تحمل الحركة، وكانت قوّة الذراعين وحماية الديار سببًا في سيادة عامر على قومه لا لكونه ابن سيّدهم، وإنّما لكونه يدافع عن قومه بنفسه، فيقول(١):[الطويل]

فما سوّدتني عامرٌ عن قرابةٍ أبى الله أن أسمو بأُمٍّ ولا أب

ولكنّني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب

ويفتخر الفرسان بما تلقاه سواعدهم من ضربات وعلامات؛ ناتجة عن خوضهم المعارك، فهو دليل جرأته وقوّته(٢). كما يفتخر عنترة بخفّة ذراعيه في الطعن، وسرعة إرداء خصومه ومفاجأتهم، فهو فن قتالي لا يحسنه إلاّ المُتمرّس في القتال، لذا يقول(٣):

وحليلِ غانيةٍ، تَرَكْتُ مُجدّلاً تمكو فريصتُه كَشِدْقِ الأَعْلَمِ

سَبَقَتْ يداي له بِعاجِلِ طَعْنَةٍ وَرَشَاشِ نافِذةٍ كَلَونِ العَنْدَمِ

فعكست تلك الأشاجع صفة القوّة والخفّة في الحركة، فلم تكن تلك السواعد مُمتلئة وثقيلة، كما حملت قوّة الساعدين دلالة العطاء والكرم، يقول عنترة(٤):

---

(١) عامر بن الطفيل: الديوان، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار صادر، بيروت، ص ١٣.

(٢) عنترة: الديوان ، ص ٩٢.

(٣) عنترة، الديوان، ص٢٠٧.

(٤) عنترة، الديوان، ص٢٥٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فعجبتُ منهـا كيـف زلَّـت عينُهـا عـن ماجـدٍ طَلْـقِ اليـدين شَـمَردلِ

فهو حسن الأخلاق يسعى إلى ما فيه خير للآخـرين، مـن حمايـة أعراض، وكرم العطاء.

ويصف قيس ابن الخطيم فرسان قومه بأنهم ثبات لا يفـرون عنـد المنازلة واحتدام الضرب، فلا تبرح أقدامهم سـاحة المعركـة، وذلـك فـي قوله(١):

إذا مـا فررنـا كـان أسـوا فرارنـا صـدود الخـدود وازورار المناكـب

صـدود الخـدود والقنـا متشـاجر ولا تـبرح الأقـدام عنـد التضـارب.

وهي صورة غاية في البراعة، حينما جعل فرار الأبطال لا بأجسـاده، وإنما بحركة ضئيلة لبعض منها بصدود الخدود إلى جهة اليمين أو اليسار؛ لاتقاء ضربات السيوف، وبحركة المناكب، وهذا ممدوح في الشجعان، وهو" مالم يقله أحد جودةً وحسن لفظٍ وصحة معنى"(٢).

ونلمس في شعر قيس بن الخطيم عقده علاقةً بين استعماله للسـيف وحمل يده له والضرب به عند المنازلة، فيراه-السيف- مثل لعبة يتناولهـا الأطفال فيما بينهم بسهولة وخفة وسرعة؛ ليضرب مثلا لمهارته وشـجاعته وقوة ذراعه، وذلك ما ينقله لنا في مثل قوله(٣):

إذا قَصـرتْ أسْـيافُنا كـان وصْـلُها خُطانـا إلى أعـدائنا فنضـارب

(١) قيس بن الخطيم: الديوان، ص٨٧-٨٨.
(٢) قيس بن الخطيم: الديوان، هامش ص٨٧.
(٣) قيس بن الخطيم: الديوان، هامش ص٨٨.

أجالدهم يوم الحدديقة حاسرا كأنّ يدي بالسيف مخراق لاعب

فالشّاعر يقول إذا لم تستطع السيوف الوصول إلى الأعداء لقصرها، فإنّه وبني قومه قادرون على جعلها طويلة بخطاهم وحركة أجسادهم، ويستمر الشّاعر مصورا تمكّنه من سيفه وقدرته على تحريكه بصورة حركية رائعة. وإذا أعدنا النظر في النص الشعري نجد خروجا واضحا عن المألف بين صورتين متناقضتين جمعهما خيال الشاعر، فالصورة الأولى تجسد بشاعة الحرب فهي صورة مخضبة بالدماء، ليقرنها بصورة البراءة والطفولة، وكأن الشاعر يريد القول في هذه الصورة المتناقضة في اختياره لوجه الشبه(لعبة الأطفال)، ليست السرعة بين الاثنين فقط، وإنما وقفته في الحرب وقفة متبختر مستهين بأعدائه، عندما يذكر تللك العبة التي يلعبها الأطفال، أي المخراق.

العين :

تشغل العين حيّزًا كبيرًا في التعبيرات الجسدية التي يخلقها الشعراء ولا يخفى ما لهذه التعبيرات من دلالات مُختلفة، كما تمتلك قُدرة ثابتة على" إيصال المغازي العامّة، أو الدلالات غير المُحدّدة، بنحو لا يخضع لضوابط ثابتة، وكأن الأمر في هذا الشأن موكول إلى الفهم الخاص، أو القناعة الذاتية، أو ما يطرأ على القريحة في لحظة النظم"[(١)]. وعلى هذا يمكن للباحث القول: أن العين رائية مرئية، باثّة ومتلقية، تنقل المعلومات من داخل الجسد إلى الآخر، تنقل الخبر لتخرجَ به في عمق الحواس، بما يتبعها من متعة

(١) د. ضياء غني وآخر: لغة العيون قراءة خطاب العين في الشعر العربي القديم، دراسة أسلوبية، عمّان ــ الأردن، ط١، ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٩م، ص ٥٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

جمالية، وبصرية، وبما تولّده من خطاب معبر يتجاوز الصمت الذي يفرضه الجمال الحسي.

إنّ لغة العين لا يمكن حصرها ضمن نطاق مُعيّن، فتحمل دلالات لا حصر لها تبعاً لفهم المُتلقي وثقافته، إذ تعمل تلك العوامل على تقريبه أقرب ما يكون من إحساس الشاعر لحظة الإبداع، يتطلّب ذلك معرفة وفهمًا للوضع الاجتماعي وتقاليده بالدرجة الأُولى، ثُمّ يأتي دور التأويل، من خلال استقرائنا لنصوص الشعراء الفرسان نجدهم وظّفوا العين لتعطي دلالة لسمة أخلاقية، اتّصفوا بها وهي غضّ البصر التي تدلّ على جانب أخلاقي مُميّز اتصفوا به وهو الحياء الذي دفعهم إلى غضّ النظر عن النساء، وعدم استراق النظر إليهن، لا غرابة في ذلك ولاسيّما إنّ من صفات الفرسان البارزة الالتزام بالأخلاق الحميدة وصيانة أعراض نساء القبيلة من الغازين، يقول قيس بن الخطيم(١):

وهل يحذر الجار الغريب فجيعتي ... وخوني، وبعض المقرفين خؤونُ

وما لمعتْ عيني لغرّة جارةٍ ... ولا ودّعتْ بالذم حين تبين

فهو لا يطمع في النظر إلى محاسن جارته في حضورها، ولا يذكرها بسوءٍ حتى في غيبتها، ويفخر الشاعر بعفّته، فلذلك لا يخافه ولا يحذر منه حتى الجار الغريب، وهو لا يتغفل جارته ولا يغرر بها ولا يخدعها، ولا يذكرها بسوء في صورة رائعة، ويزيد ذلك بسؤال استنكاريّ يبعده عن كلّ ما يقرّبُهُ من شكّ يُسيء إلى الجوار. ويقول عروة بن الورد(٢):

---

(١) قيس بن الخطيم: الديوان، ص١٦٥.

(٢) عروة بن الورد: الديوان، ص٤٨.

وإنْ جـارتي ألـوَتْ ريـاحٌ ببيتِهـا تَغافَلْتُ حتـى يسـترُ البيـتَ جانبُـه

يقول عروة بن الورد: إنّ الجارة في كنفه آمنة حتى عندما ينكشـف عنها حجابها، وتقلع الرّيح بيتها، وتلوي به بعيدا عنها، فتظهر الجارة أمامه دون ستر، عند ذلك يتشاغل عن النّظر إليها، ويتغافل عن التطلّـع نحوهـا، ومثله قول عنترة[1]:

مـا اسْـتَمْتُ أُنثـى نفسَـها، في مـوطنٍ، حتـى أوَفّـي مَهْرَهَـا مَولاهَـا

وكمـا رزأتُ أخـا حِفـاظِ سِـلْعَةً إلاّ لَـهُ عنـدي، بهـا، مِثْلاهَـا

أغْشـى فتـاةَ الحـيِّ عِنْـدَ حَلِيلَهـا وإذا غـزا في الجـيشِ، لا أغشـاهَا

وأغـضُّ طَـرَفي مـا بَـدَتْ لـي جـارَتِي حتـى يُـواري جـارتي مأواهَـا

انّـي امـرؤٌ سَـمِحُ الخليقـةِ ماجِـدٌ لا أُتْبِـع الـنَفْسَ اللجـوجَ هواهَـا

المرؤ في العادة يغضُّ طرفه عن الشيء القريب منه، فيمنع نفسـه عن النظر إلى ما يكره، وما يكرهه الفارس هنا هو فعل النظـر إلـى تلـك الجارة الغريبة، فهو أمرٌ غير أخلاقي ولا يليق بالفرسان الذين تقـع علـى عاتقهم مهمّة حماية النساء، فالعين هنا تمثّل شيفرة شعرية أُريد من خلالها التعبير عن وضع اجتماعي وأخلاقي، حاول المُبدع عن طريقه بـثّ تلـك الشيفرة وإيصالها إلى المتلقي بوصفـه المترجم الأساس لتلـك الشـيفرة، فنستطيع تحميل علامة غضّ البصر المنسوبة إلـى العـين دلالـة القيـد الأخلاقي المُحبّب إلى نفوس الفرسان، بل ويفتخرون بالتزامهم بـه، حتـى عند عنترة وعروة المعروفين بثورتهما على القيود الاجتماعية المفروضـة

(١) عنترة: الديوان، ص٣٠٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من قبل المجتمع، إلا أنّهم يُقيّدون أنفسهم بها مفتخرين، على الرغم من عدم وجود تعاليم دينية، تفرض عليهم مسألة غضّ البصر عن النساء اللاتي لا يحجبهنّ شيء عن الرجال سوى خيمة تلوي بها الريح، فلم يكن يمنعهم عن ذلك سوى الأخلاق العربية الأصيلة، ويمكن إدراج تلك العلامة ضمن" نظام تشفير الوجه"(١).

الشفتين :

وهي علامة أخرى من علامات نظام تشفير الوجه وتعبر عن وضع نفسي وجهد عضلي شديدين يبذلهما الفارس في ساحة المعركة، فالمحارب يُكشّر عن أسنانه ويُقلّص شفتيه دلالة على توتره، وخوفه من الهزيمة ورغبته في الانتصار في الوقت نفسه، فيبذل جُلَّ جُهده لحيازة النصر، فتقلّص الشفتين " حركة مادّية حسّية تكشف عن حركة نفسية هي الخوف"(٢).

يقول عنترة واصفاً ذلك الوضع(٣):

ولقد حفظتُ وَصاةَ عمّي بالضحى إذ تَقْلَصُ الشفتان عن وَضَحِ الفمِ

في حَوْمَةِ الموتِ التي لا تَشْتَكي غمراتِها الأبطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ

في غمرات الموت حيث بلغت المعركة ذروتها في وقت الضحى، ولاسيّما أننا ذكرنا أن المعارك تبدأ في الصباح الباكر، نجد الشاعر في حالة

(١) آلان وباربرا بيز: المرجع الأكيد في لغة الجسد : ص٦٨.
(٢) د. وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديد، ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت، ١٩٧٨م، ص ٢٠٦.
(٣) عنترة: الديوان، ص ٢١٥.

توتر نفسي من خلال ما راوده من شبح عمّه وما يُخلّفه في نفسه من ارتباط بعبوديته ونبذه، وعضلي لأنّه يبذل كُلّ ما لديه من قوّة فهو لا يريد الخروج من المعركة إلاّ مُنتصرا، وفي ذلك نصرٌ لذاته وحرّيته أولاً، ولقبيلته ثانيًا.

ويصف عامر بن الطفيل فرسان قبيلته وهم يُبلون في ساحة المعركة البلاء الحسن وقد بذلوا كُلّ طاقاتهم الجسدية، يقول[١]:

يُقيمونَ للحَرْبِ أصْعَارَهَا إذا ثُوِّرَالقَسْطَلُ الأغْبَرُ

كُماةٌ حُماةٌ إذا ما الشّفا هيَعْجِزُ عن ضمّها المِشْفَرُ

لقد بلغوا درجة من التوتر النفسي والعضلي، فكشّروا عن أنيابهم كالأُسود، ولعلّهم أرادوا بذلك الوصف منح هجوم الفرسان صفة هجوم الحيوانات الضارية التي تُكشّر عن أنيابها في العادة عند هجومها على الفريسة وهي تزأر.

٢ــ علامات جسدية بصرية: وتشتمل على علامات جسدية تخصّ المظهر الخارجي للفارس وتنطوي على دلالات اجتماعية وطبيعية، وهي :

طول القامة :

وهي أبرز العلامات الدلالية التي يتميّز بها الفارس، فطول القامة وشدّتها يُكسبه منظرًا مهيبـاً، كما أكّد القدماء أهميّة طول القامة، ومنهم ابن قتيبة، فقال:" والعرب تمدح بالطول وتضع من القصر"[٢] فارتبطت

(١) عامر بن الطفيل: الديوان، ص ٦٧-٦٨.

(٢) ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٦٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فكرة الفروسية بصفة الطول التي تؤدّي وظيفة مُهمّة في موقف المواجهة مع الخصم بما تبعثه من إحساس بالرهبة في نفس الخصم التي لا يمكن أن تكون فيما لو كان الفارس قصير القامة ضئيلًا(١)، ولاسيّما مع اتصاف الفرسان بالصفات الأُسطورية الخارقة، فكان جسد الفارس مثاليًا "يوحي بمعانٍ ومرجعيات أسطورية ودينية اقترنت في مُخيّلة الشاعر الجاهلي وذاكرته وتمسّكه بها في تصويره للجسد المثال"(٢).

وكثيرًا ما يفتخر الشعراء الفرسان بطول قاماتهم، ليمنحوا أنفسهم دلالة القوّة والقدرة على الفتك بالأعداء، يقول الفارس الصعلوك عروة بن الورد(٣):

وما طالبُ الأَوْتَارِ إلاّ ابنُ حُرّةٍ طويلُ نِجَادِ السيفِ عاري الأشاجِعِ

كما يمنح عنترة بن شدّاد خصمه دلالة اكتمال الهيأة من خلال طول قامته، فهو فريد ليس له مثيل، فيقول(٤):

بطلٌ كأنَ ثيابَه في سَرْحَةٍ يُحذي نِعالَ السَّبْتِ ليس بِتَوْأَمِ

فجعل طول الفارس كالشجرة الفارعة التي ليس لها شبيه، وفي ذلك الوصف دلالة الفخر الذاتي، فمع تلك القوّة الفريدة للفارس واكتمال الهيئة فقد تمكّن من الإيقاع به وإرداء صريعاً.

---

(١) د. أحمد محمود خليل: في النقد الجمالي، رؤية في الشعر الجاهلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١ ،١٤١٧هـ، ١٩٩٦م ص٧٤-٧٥، و محمد حسين العبيد: الجسد في الشعر العربي قبل الإسلام، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، ص ٢٣ .

(٢) محمد حسين العبيد: الجسد في الشعر العربي قبل الإسلام، ص ٢٢

(٣) عروة بن الورد: الديوان، ص ٨٥.

(٤) عنترة: الديوان، ص٢١٢.

ولمّا أراد الشّاعِر أن يظهر صورة الفرسان الشجعان وهم يحملون السيوف والدروع الكبيرة، هؤلاء القوم شبههم كأنهم يقفون منتصبين في وسط الغبار الكثيف، فالسيوف والدروع التي تحيط بأجساد هؤلاء الفرسان الشجعان تتمثل في الغبار الكثيف الذي يلتف حول القوم، فكلاهما صور غطاء لما داخله، يقول عامر بن الطفيل[1]:

إذا نَعى الحرب ناعوها بدتْ لهم ... أبنَاء عامِر تُزجِي كُلّ مختَرج

علَيهِم البيض والأبدان سابِغَةً ... يقَحمون كَأَن القَوم في رهج

نلحظ أن الشّاعِر مثّل لصورتين، صورة الفرسان-فرسان عامر- يرتدون السيوف والدروع، والصورة الثانية صورة القوم الذين يسيرون داخل الغبار الكثيف فالاثنان لا يكادان يظهران بسبب ما يحيط بهما ونجد أن الاثنين يشتركان في صورة متقاربة وهي شيء يقف وسط شيء يغطيه فلا يكاد يظهر، والفاصل بين الصورتين هو أداة التشبيه "كأن" المذكورة في البيت.

النحول:

ولنا أن نُشير في هذا الموضع إلى أنّه ليس من الضروري أن يكون النحول والهزال دالّين على الفقر والمرض، فعندما يتعلّق الأمر بالفرسان وصفاتهم الجسدية لابدّ من أن يكون الدال حاملاً لمعنى آخر يتعلّق بالفروسية وأخلاق فرسانها، فهي دليل رشاقة وخفّة وتمرّس للفروسية وخوض الحروب بشكل مُستمرّ، الأمر الذي يمنحه الرشاقة إلى جانب القوّة،

(١) عامر بن الطفيل: الديوان، ص ٣٦.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فسلم جسده من البدانة خاصة في منطقة البطن والخصر، فلا يجدر بالفارس أن يكون مترهلًا بديناً[١]، فتمنحه الرشاقة القُدرة على ركوب الخيل، والخفّة في الغزوات وممارسة فنون القتال بمهارةٍ فيكرُّ ويفرُّ في ساحة المعركة؛ لذا جعل عنترة من النحول صفة مُلازمة للفرسان، فيقول[٢]:

إما تريني قد نحلتُ ، ومن يكُن غرضًا لأطراف الأسنة ينحل

حمل النحول دلالة ذات بُعدٍ آخر في شعر الفرسان فهو نحول الأبطال الذين تمرّسوا على القتال واعتادوا مواجهة الرماح والحراب، فكثرة خوض الحروب سبّب لهم الهزال، وفي المقابل جعل من البدانة علامة على الجُبْن والضعف وعدم القُدرة على المواجهة، فيصف خصمه بضخامته وبدانته المُكتنزة، ورغم ذلك فهو جبان وضعيف، يقول مُخاطبًا زوج الفارس بأسلوب لا يخلو من السخرية[٣].

فَلَرُبَّ أبلجَ مِثْلِ بَعْلِك ، بادنٍ، ضَخْمٍ على ظَهْرِ الجَواد ، مُهَبَّلِ

غادَرْتُه مُتَعفِّرًا ، أوصالَه والقومُ بين مُجَرَّحٍ ومُجَدَّلِ

ويتخذ الفارس الصعلوك عروة بن الورد من النحول والبدانة بديلاً دلالياً للكرم والبخل، فالنحول دليل الكرم والإيثار وأداء واجبه تجاه الآخرين، أمّا البدانة فحملتْ دلالة البخل لصاحبها، فيقول[٤]:

إنّي امرؤٌ عافي إنائي شِرْكَةٌ وأنتَ امرؤ عافي إنائَك واحِدُ

(١) د. مؤيد اليوزبكي: البطولة في الشعر العربي القديم، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨، ص١٩٤.
(٢) عنترة: الديوان، ص٢٥٦.
(٣) عنترة: الديوان، ص ٢٥٦- ٢٥٧.
(٤) عروة بن الورد: الديوان، ص٦١.

أتَهْــزَأُ منّــي أنْ سَــمِنْتُ وأن تَــرَى بِـوَجْهي شُحُوبَ الحقِّ، والحقُّ جاهِـدُ

أُقَسِّــمُ جســمي في جُسُــومٍ كــثيرةٍ وأحْسُــوقــراح المــاء، والمــاءُ بــارِدُ

كان عروة يُقسّم جسمه أي طعامه في جسوم الآخرين بإرادته ولــولا ذلك لكان بإمكانه أن يصبح بدينا، ولكنه بذلك سينافي مفهوم تحقيق العدالة التي طالما نادى بتحقيقها، التي تقوم على توزيع الثروات دون أن يســتأثر بشيء لنفسه ولو كان قليلاً، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى تُســاعده تلــك النحافة في غزواته المُفاجئة والسريعة، فيمنحه شأنه شأن بقيّة الصــعاليك القدرة على العدو والجري السريع الذي عدّه الصعاليك سلاحاً من أسلحتهم. فعلامة النحول لدى الفرسان" نتيجة حتمية لجسد الفارس العربــي المثــال، وهي مظهر جمالي أيضاً شكّلها الشاعر في ذهنه وفي وعيه"(١).

٣ ـ رموز دلالية :

ويتضمن على علامات جسدية تخصّ الفارس مؤشرات وهي علامات ذات دلالات طبيعية واجتماعية وفكرية، وهي :

طول الشعر :

إنّ طول الشعر وعدم الاعتناء به علامة طبيعية يتسم بها الفرســان؛ لذلك اعتاد الفرسان على تصوير شعرهم وهو أشعث أغبر، ليحمــل دلالــة انشغالهم عن أُمور الزينة وعدم تفرّغهم لذلك الأمر الذي يتطلّب وقت فراغ وساعات خوالي يتمتّعون فيها بالراحة النفسية والجسدية، وهــذا الأمــر لا

(١) محمد حسين العبيد: الجسد في الشعر العربي القديم، ص ٣١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ينطبق عليهم من دون شك إذ لا يشغل بالهم سوى استقرار القبيلة وحماية أعراضها من الغزوات التي تكون مُفاجئة في العادة . يقول عنترة[١]:

قِفي وانظري يا عَبْلَ فِعْلي وعايني طِعاني إذا ثارَ العَجاجُ المُكَدَّرُ

تَرَيْ بَطلاً يلقى الفَوارسَ ضاحكاً ويَرْجِعُ عنهم وهو أشعثُ أغبرُ

كانت تلك العلامة الحربية حالة طبيعية لوضع الفارس بل يجعلها الفارس صفة للفخر والتباهي.

الأنف:

يحمل الأنف بوصفه علامة دلالة الرفعة والشموخ والكبرياء ويمكننا عدّها علامة اجتماعية، لكونها تمثل نظرة المجتمع بصورة عامة؛ لذلك اختارها عامر بن الطفيل لتكون دلالة على هزيمة خصم، فيقول[٢]:

وهُم يَضْربُون غَداةَ الصبا حِ أنْفَ المُدَجَّجِ ذي المِغْفَرِ

وافتخر عنترة بإذلال خصومه وحُسّاده، فيقول[٣]:

رغمتُ أنفَ الحاسدين بسطوتي فغدوا لها من راكعين وسُجّدِ

اللسان:

لا يقلُّ اللسان أهميّةً من بين علامات الوجه السابقة، فحمل دلالة الفصاحة، ولاسيّما أن الفارس لابدّ من أن يكون فصيحا إمّا شاعرًا أو خطيبًا

(١) عنترة: الديوان، ص١٩٥

(٢) عامر بن الطفيل: الديوان، ص ٦٧.

(٣) عنترة: الديوان، ص١٠١.

لذلك يمكن عدّها من العلامات الفكرية التي تعبر عن وعي الفارس وثقافته، فقد افتخر عروة بفصاحته وجرأته حتى عدّها من أسلحته الحربية المهمّة التي يواجه بها الخصوم إلى جانب السيف، يقول[١]:

فكيف وقد ذكيتُ واشتدّ جانبي سُليمى وعندي سامعٌ ومطيعُ

لسان وسيف صارمٌ و حفيظةٌ ورأيٌ لآراء الرجال صروعُ

من هنا يمكن أن أقرّر أنَّ الجسد حقلٌ دلالي لا ينضب فكلّ علامة فيه وإشارة لا تخلو من معانٍ دلالية اجتماعية أو نفسية أو فكرية، فهو" كيان أو علامة من نوع خاص، تُحيط به مجموعة الأنظمة السيميائية وتخترقه مُحوّلة إيّاه إلى كيان تعبيري تواصلي"[٢] ويُمكن أن نعدّ العلامات الجسدية المتعلّقة بالوجه من أكثر العلامات تعبيرًا عمّا يجول في الذات لكون "الوجه المنطقة الأكثر تعبيرية دون غيرها من مناطق الجسد الأخرى[٣].

(١) عروة بن الورد: الديوان، ص٨٠.

(٢) د. فريد زاهي: الجسد والصورة والمقدّس، دار أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص٣٤.

(٣) د. فريد زاهي: الجسد والصورة والمقدّس، ص١٠٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة ونتائج:

يعدُ موضوع الدلالات غير اللفظية من الموضوعات الحديثة في علوم اللغة، وهو من الموضوعات المهمة في الدرس اللساني الحديث؛ وذلك بالنظر إلى أهمية الدلالات غير اللفظية المصاحبة للفظ في تحديد معناه، وفي تحقيق الفهم والإفهام، وإحداث الأثر المطلوب في السامعين.

أبرزت الدراسة تنبه بعض أعلام العرب لأثر هذه الدلالات غير اللفظية في تحقيق الأثر المبتغى، كما كشفت عن وعيهم العميق بعلاقة هذه الدلالات بالحالة النفسية للمتكلم، وهم بذلك سبقوا كثيرا من البحوث والدراسات الحديثة التي عنيت بدرس هذا الحقل.

لكل جارحة من جوارح الإنسان لغة تغني عن الكلام المنطوق تسمى لغة الجسد، ولكل جارحة عناقيد دلالات ترشح عنها. قد تكون لغة الجوارح مركبة من أكثر من جارحة، وكلها تشترك في الإبانة عن المراد.

ثراء تراثنا الشعري بنصوص شعرية تندرج تحت لغة الجسد لها قدرة على التصوير والمبالغة في الإبانة عن المقصد. وتخفي لغة الجسد كثيرا جدا من البواعث النفسية، والانفعالية المسببة لها. وتعمل عمل المرآة في كشف الصورة السلوكية الفطرية أو المفتعلة.

المصادر والمراجع

- آلان وباربرا بييز: المرجع الأكيد في لغة الجسد، المملكة العربية السعودية ، ط٥، ٢٠٠٥م.
- إبراهيم جوخان،: خطاب الجسم في شعر العذريين، جميل بثينة نموذجا، مجلة سر من رأى، مجلد٨، ع٣٠، السنة الثامنة، ٢٠١٣م.
- أحمد محمود خليل: في النقد الجمالي، رؤية في الشعر الجاهلي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١٤١٧،١هـ، ١٩٩٦م.
- بلقاسم دفة: علم السيمياء والعنوان في النص الأدبي – محاضرات المتلقي الوطني الأول، جامعة محمد خضير – بسكرة، ٢٠٠٠م.
- الجاحظ،: البيان والتبين، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، دار الجيل، د.ت.
- جلال الخيّاط: الجنون بالشعر، بيروت ــ لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.
- جنات زراد،: خطاب الجسد ونظام التواصل الإشاري في المرويات الشفاهية، مقاربة تداولية، مجلة الأثر، الجزائر. موقع جامعة قاصدي مرباح ورقلة.
- ابن جني: الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، درا المكتبة العلمية، القاهرة، د.ت.
- جيمس بورغ: لغة الجسد، ترجمة د. أميمة الدكاك، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٥م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

❖ حنون مبارك: دروس في السيميائيات، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٧م.

❖ ابن دريد: الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، د ــ ت.

❖ دي سوسير، فرديناند: محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة عبد القادر قنيني، مراجعة أحمد حبيبي، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د. ت.

❖ زكي نجيب محمود: فلسفة وفن، مطبعة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط١، د.ت.

❖ بن سهلة يمينة: جمالية الجسد في الفكر الفلسفي "تمثلاته وتجلياته في الثقافة الإسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة وهران٢، ٢٠١٥م.

❖ السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة

❖ صلاح كاظم: السيمياء العربية ، بحث في أنظمة الإشارات عند العرب، ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٨م.

❖ ضياء غني وآخر: لغة العيون قراءة خطاب العين في الشعر العربي القديم، دراسة أسلوبية، عمّان ــ الأردن، ط١، ١٤٢٩هـ ــ ٢٠٠٩م.

❖ عامر بن الطفيل، : الديوان، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، دار صادر، بيروت.د.ت.

❖ عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١م.

❖ عبده بدوي: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، وزارة الثقافة، مصر، ١٩٧٣م.

❖ عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة وسيمياء الأدب، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1.لبنان، ٢٠١٠م

❖ عروة بن الورد: الديوان، تحقيق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨ه، ١٩٩٨م

❖ عريب محمد عيد: علم لغة الحركة بين النظريةّ والتطبيق، دار الثقافة، عمان، ٢٠١٠م.

❖ العلوي هشام: الجسد بين الشرق والغرب، نماذج وتصورات، مطبعة النجاح، المغرب، ٢٠١٤م.

❖ عمر بن أبي ربيعة: شرح الديوان، تقديم عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م.

❖ عنترة بن شداد: الديوان، تحقيق ودراسة محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٧٠م.

❖ عوَاد علي: شفرات الجسد جدلية الحضور والغيَاب في المسرح، عمَان، الأردن، ط١، ١٩٩٦م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

❖ فائز الشرع: بلاغة الروح اداء الجسد، قراءة في مجموعة (تحولاّت الروح)، مجلة الطليعة الأدبية، تصدر من دار الشؤون الثقافية العامّة ،ع٤، سنة ٤ ،٢٠٠٢م.

❖ أبو الفرج الأصفاني: الأغاني، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت.

❖ فريد الزاهي: الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، أفريقيا الشرق، بيروت،١٩٩٩م.

❖ ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦م.

❖ قيس بن الخطيم: الديوان، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، د.ت.

❖ كريم زكي حسام الدين،: الإشارات الجسمية: دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ط١، ١٩٩١م.

❖ الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى: الكليات، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩ه، ١٩٩٨م.

❖ محمد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة الترادف في اللغة والتفسير، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد٢٤، عدد٣، ١٩٩٦م.

❖ محمد حسين العبيد: الجسد في الشعر العربي قبل الإسلام، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

❖ محمد العبد: العبارة والإشارة، دراسة في نظرية الاتصال، القاهرة، ط١ ،١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧ م.

❖ محمد فكري الجزّار: العنوان وسيموطيقيا الاتصال الأدبي، الهيئة المصرية العامّة للكتاب،١٩٩٨م.

❖ محمد محمد داود: جسد الإنسان والتعبيرات اللغوية: دراسة دلالية ومعجم، القاهرة، دار غريب ط١، ٢٠٠٧م.

❖ ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار المعارف، د.ت.

❖ مهدي أسعد عرار: لغة الجسم وأثرها في الإبانة: نماذج من التراث اللغوي والبلاغي، كلية الآداب، جامعة برزيت، فلسطين، مجلد٣٣، ع١، ٢٠٠٦.

❖ د. مؤيد اليوزبكي: البطولة في الشعر العربي القديم، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨.

❖ ميشيلا مارزانو: فلسفة الجسد، ترجمة نبيل أبو مصعب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١١م.

❖ د. نوري حمَودي القيسي: الفروسية في الشعر الجاهلي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤.

❖ ابن هشام الأنصاري: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٠.

❖ هنري لوفيغر: اللسان والمجتمع، ترجمة مصطفى صالح، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٣م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

❖ وليد محمد السراقبي: سيمياء الجسد في القرآن الكريم(دراسة تحليـــة)، دواة مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث التربوية واللغوية، كلية الآداب، جامعة حماة، د.ت.

❖ وهب أحمد رومية: شعرنا القديم والنقد الجديـــد، ، المجلـــس الـــوطني للثقافة والفنون والآداب ــ الكويت، ١٩٧٨م.

❖ ياسر حماية: لغة الجسد، كيف تفهم الآخرين من نظـــرة عـــين؟ كنـــوز للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٢م.

❖ يوسف تيبس: تطوّر مفهوم الجسد من التأمّل الفلســـفي إلـــى التطـــور العلمي، مجلة عالم الفكر، مج ٣٧ ، ٤ إبريل، يونيو ٢٠٠٩م.

❖ Wainwright, Gordon R., Body Language, (U. K.: Teach Yourself
Books, 2007), p. 185

❖ E. T. Hall, The Silent Language, (Garden City, N. Y.: Doubleday, 1959), p.27.

❖ J. Ruesch and W. Kees, Nonverbal Communication: Notes on the Visual Perception of Human Relations, (Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1956) p.69.

❖ R. L. Birdwhistell, Some Body Motion Elements Accompanying Spoken
American English, in Communication: Concepts and Perspectives, ed. L.Thayer (Washington, D. C.: Spartan Books, 1971) , p. 71.

❖ M. Argayle; Social Interaction, (New York: Atherton Press, 1969).

❖ Cf. P. Ekman: Communication through Nonverbal Behavior: A Source of Information about an Interpersonal Relationship, in Affect, Cognition and Personality, ed. S. S. Tomkins and C. E. Izard, (New York: Springer, 1965),

❖ R. Harrison: Verbal- Nonverbal Interaction Analysis: The Substructure of an Interview, (Paper presented to The Association for Education in Journalism, Bekerely, California, August 1969).

❖ R. E. Buehler and J. F. Richmond: Interpersonal Communication Behavior Analysis: A Research Method, Journal of Communication 13 (1963).

❖ M. Reece and R. Whitman: Expressive Movements, Warmth, and Verbal Reinforcement, Journal of Abnormal and Social Psychology 64 (1962).

❖ R. V. Exline, and other: Visual Interaction in Relation to Machiavellianismand an Unethical Act, American Psychologist 16 (1961).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٧٧٤٧
٢.	Abstract	٧٧٤٨
٣.	مقدمة	٧٧٤٩
٤.	١- أولا: المفاهيم والأبعاد المعرفية	٧٧٥١
٥.	٢- ثانيا: الدلالة غير اللفظية في الفكر اللساني	٧٧٥٧
٦.	٣- ثالثا: لغة الجسد في التراث العربي	٧٧٦١
٧.	٤- رابعا: تكميل الدلالة وتحقيقها	٧٧٦٦
٨.	٥- خامسا: دلالات الجسد في شعر الفرسان	٧٧٧٠
٩.	خاتمة ونتائج	٧٧٩٠
١٠.	المصادر والمراجع	٧٧٩١
١١.	فهرس الموضوعات	٧٧٩٨